Adab Al-Rafidayn

https://ojs.uomosul.edu.iq/index.php/radab

Challenges of Heritage: A Study in the Prospects of Renewal and Civilizational Sustainability by Dr. Imad El-Din Khalil

Mahmoud Saleh Saeed

Department of History / College of arts,
Mosul of University / Mosul-Iraq

Article Information

Article History:
Received Sept 22,2025
Revised Oct 11,2025
Accepted Oct 12,2025
Available Online Feb 1, 2026

Keywords:
Cultural heritage,
Old City,
Mosul,
Imad al-Din Khalil,
Sustainability

Correspondence:
Mahmoud Saleh Saeed
mahmood.s.saeed@uomosul.edu.iq

Abstract

This research comes with the hypothesis that the cultural heritage of any city or nation is exposed to extinction, and faces a set of material and intellectual challenges, and that trying to renew it and strive to preserve it is a scientific responsibility that specialists must confront, and try to find solutions and treatments, or at least intellectual approaches, that will contribute to saving that heritage from extinction or loss. There is no doubt that the Nineveh Antiquities and Heritage Inspectorate, in coordination with government agencies and international organizations, undertakes the tasks of restoring and rehabilitating its damaged archaeological and heritage sites, through field monitoring, removing rubble and mines, and recovering lost artifacts, in addition to projects to rebuild historic buildings and rehabilitate riverfronts, with the aim of protecting the cultural heritage. This research attempts to shed light on the efforts of a specialist in preserving the Islamic history and cultural heritage of Mosul through what he wrote about how to preserve the cultural heritage of the city of Mosul and studying the prospects for renewal and cultural sustainability after monitoring the most important challenges that this heritage has faced in conjunction with the efforts of the Nineveh Antiquities and Heritage Inspectorate at the present time.The period of the States of the Islamic East is considered one of the most complex and rich periods in Islamic history. This era witnessed political events and military competition among multiple regional powers, leaving behind a rich and diverse archive. The sheer volume of this archive, the diversity of its languages (Arabic, Persian, and Turkish), and the dispersion of its information across numerous different sources make the process of comprehensive analysis an extremely difficult task. However, by adopting historical AI tools, we become capable of dealing with this enormous and varied amount of big historical data.This research aims to explore and evaluate AI tools and techniques, particularly Natural Language Processing (NLP) and Social Network Analysis (SNA), in the study of this historical landscape. The research will briefly address the most important challenges, ethical considerations, and obstacles to AI in the field of history after providing a concise, comprehensive definition of AI. To achieve this goal, the Ghaznavid State (351–581 AH / 961–1186 CE) was chosen as an applied model.The research is based on a fundamental hypothesis: that the application of AI tools will provide a deeper, more accurate, and more complex understanding of the aspects of governance in the Ghaznavid State by moving beyond the direct narrative analysis of sources to the use of AI tools.

DOI:_____, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

تحديات الموروث: دراسة في آفاق التجديد والاستدامة الحضارية عند الدكتور عماد الدين خليل

محمود صالح سعيد *

مستخلص:

يأتي هذا البحث بفرضية مفادها أن الموروث الحضاري لأي مدينة أو أمة معرض للاندثار، ويواجه بمجموعة من التحديات المادية والفكرية، وأن محاولة تجديده والسعي إلى الحفاظ عليه تعد مسؤولية علمية يجب على المختصين التصدي لها، ومحاولة إيجاد الحلول والمعالجات، أو على الأقل المقاربات الفكرية، التي ستسهم في انقاذ ذلك الموروث من الاندثار أو الضياع، ولا شك أن مفتشية آثار وتراث نينوى تتولى بالتنسيق مع الجهات الحكومية والمنظمات الدولية، مهام ترميم وإعادة تأهيل مواقعها الأثرية والتراثية المتضررة، وذلك من خلال الرصد الميداني، وإزالة الأنقاض والألغام، واستعادة القطع الأثرية المفقودة، فضلًا عن مشاريع إعادة إعمار المباني التاريخية وتأهيل الواجهات النهرية، بهدف حماية الموروث الحضاري واستعادة الحياة للمدينة القديمة. وفي هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على جهود أحد المختصين بحفظ التاريخ والتراث الحضاري الإسلامي للموصل بما كتبه في كيفية المحافظة على الموروث الحضاري لمدينة الموصل ودراسة آفاق التجديد والاستدامة الحضارية لها بعد رصد أهم التحديات التي واجهها هذا الموروث بالتزامن مع جهود مفتشية آثار وتراث نينوى في الوقت الحاضر.

كلمات مفتاحية: الموروث الحضاري، المدينة القديمة ، الموصل ، عماد الدين خليل ، الاستدامة

تمهيد

تجديد التراث واستدامته يعني الحفاظ على التراث الثقافي، سواء أكان ماديًا أم غير مادي، مع مراعاة التغيرات والتحديات في العصر الحديث، ويشمل كذلك تجديد الممارسات والتقنيات القديمة لتناسب متطلبات العصر، مع الحفاظ على قيم التراث الأصيلة، وهذا يعني أن التراث هو الوسيلة والتجديد هو الغاية([1]) وهناك طرق عديدة لتجديد التراث واستدامته، فمن أجل الحفاظ على التراث المادي، هناك طرق تتمثل بصيانة المواقع التاريخية، من خلال ترميم المباني القديمة، واستخدام تقنيات بناء حديثة تراعي التقنيات التقليدية. والرصد الميداني والمراقبة الدورية ورصد أي تهديدات طبيعية أو بشرية، وتوثيق حالة التلول الأثرية والمباني التاريخية([2]).

وأما الحفاظ على التراث غير المادي والسعي إلى تجديده فيتمثل بتعليم الأجيال الجديدة أهمية الموروث اللامادي من قيم وعادات وتقاليد ومناسبات متوارثة، والاحتفاء بها بوصفها مناسبات وطنية يشارك فيها ابناء المدينة، وتطوير تقنيات جديدة لحفظ ونقل المعرفة الشفهية، وتحديث الممارسات الثقافية لتناسب متطلبات العصر الحديث، وتعزيز الوعي المجتمعي من خلال تنظيم فعاليات توعوية حول أهمية التراث اللامادي، واقامة ورش عمل، ودمج دروس عن التراث في المناهج الدراسية، وإقامة شراكات استراتيجية بين الحكومات المحلية، والمجتمع المدني، والمطورين، لتبادل الخبرات وتطوير حلول مبتكرة. ولغرض تطبيق استراتيجيات التنمية المستدامة وربطها بموضوع تجديد التراث يجب أن نأخذ بالاعتبار التراث الثقافي كأحد الموارد القيمة التي تساهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية([3]).

إن تجديد التراث واستدامته له أهمية بالغة على مستقبل الشعوب؛ فهي تسهم في الحفاظ على الهوية الثقافية([4])؛ إذ يؤدي التراث الثقافي دورًا مهمًا في تشكيل الهوية الثقافية للأفراد والمجتمعات ويسهم في تعزيز الترابط بين الأجيال بالمساهمة في نقل المعارف والتقاليد إلى الأجيال القادمة. من جهة ثانية يسهم تجديد التراث واستدامته في تنمية المجتمعات إذ يكون حافزًا للتنمية الاقتصادية، من خلال السياحة، والأنشطة الثقافية، وإعادة استخدام المباني التاريخية لتقديم خدمات للوفود والسياح والباحثين، وفوق هذا وذاك، يسهم في احترام التنوع الثقافي وتعزيز احترام التنوع الثقافي يسهم في تعزيز التعايش المشترك بين الثقافات المختلفة ويؤدي إلى بناء مستقبل مستدام يضمن

* أ.د. قسم التاريخ /كلية الاداب/جامعة الموصل /الموصل - العراق

([1]) حسن حنفي، التراث والتجديد ، موقفنا من التراث القديم، مؤسسة هنداوي(المملكة المتحدة:2019)،ص15.

([2]) هدى رجب النويصري، التفكير الهندسي والاصطناعي من أجل وضع الموارد في الهياكل القديمة. مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية, العدد 3 المجلد (2)، لسنة 2022، 19-28

([3]) وليد سعود العنزى، الفنون والحرف الشعبية كمدخل لإثراء مناهج الفن والتربية الفنية في ضوء إستراتيجية التطوير، مجلة بحوث التربية النوعية, 2012(24), 543-570.

([4]) سيف راشد الجابري، دور الهيئات والمؤسسات والمنظمات الثقافية والتعليمية في الحفاظ على التراث وتأكيد الهوية الفنية، مجلة التراث والتصميم – المجلد الأول – العدد الأول فبراير 2021. ص28
،https://jsos.journals.ekb.eg/article_142681_a41b1688ebfc899fa38c6d8363ed85d3.pdf

استمرارية الثقافة والمجتمعات للأجيال القادمة([1]). هذه هي بعض الميزات العامة التي نحتاجها من أجل تجديد التراث واستدامته في هذه المرحلة .

وفي ضوء ما سبق تتيح رؤية الدكتور عماد الدين خليل(1941-) وإسهاماته في تجديد التراث وحفظه والعمل على استدامته فرصة لتعميق الفهم بأهمية الحفاظ على الموروث وطرق تجديده واستدامته؛ إذ يقدم بعض الافكار والمقترحات لحماية تراث المدينة من التآكل والزوال، والتي يمكن عدها من الاسبقيات التاريخية التي ساهمت في الدعوة إلى تجديد التراث واستدامته خاصة لمدينة الموصل، وتأتي اسهاماته تلك ليس من موقعه كباحث في التاريخ، ومؤرخ للحضارة للإسلامية فحسب بل من موقعه كمسؤول في المديرية العامة لآثار ومتاحف المنطقة الشمالية (مفتشية آثار نينوى حاليًا) هذه المؤسسة التي تعود بتاريخها إلى عام 1920 حين أسست دائرة الآثار والتراث تحت اسم الدائرة (الاركيولجية) وفي عام 1922 أنشأ العراق دائرة للآثار وأسس المتحف العراقي عام 1923، فكان النواة الأولى لتشكيل مديرية الآثار القديمة التي صدر قرار تأسيسها عام 1924 فبدأت عملها في وقت مبكر في مجالي التنقيب والصيانة، وبعد أن توسعت مهامها وتشعبت إعمالها كبر حجمها, تم تحويلها إلى مديرية للآثار في عام 1941. ثم تلاه قرار ثاني عام 1979 بتحويل المديرية العامة إلى مؤسسة فعرفت بالمؤسسة العامة للآثار والتراث، وفي عام 1987حولت إلى دائرة الآثار والتراث العامة، ثم أصبحت في عام 1998 (الهيأة العامة للآثار والتراث)([2]) .

عمل رئيسًا للجنة المسح والتوثيق التراثي للمدة من (1981-1985)، ثم مديرًا لقسم التراث في المديرية العامة لآثار ومتاحف المنطقة الشمالية، التابعة للمؤسسة العامة للآثار والتراث، لمدة عشر سنوات (1977-1987م) عاين خلال تلك المدة الطويلة تراث الموصل المادي وغير المادي معاينة ميدانية، وعلى حد تعبيره :" عاينت خلالها النسيج التراثي للموصل معاينة ميدانية، شبرًا شبرًا وذراعًا ذراعًا " ([3]) فضلًا عن مشاركاته في الندوات والمؤتمرات، ولجان مشتركة مع دوائر الدولة الاخرى، وقدّم في هذا السبيل العديد من الدراسات والتقارير والمقترحات التي اسهمت في حماية تراث المدينة من الضياع والاندثار. كما حظي بالإشادة والتكريم من جهات دولية واقليمية ومحلية كان آخرها الملتقى التكريمي الذي اقامته مؤسسة الزهاوي بالتعاون مع مؤسسة رسوخ للتنمية المستدامة في 31 تموز 2025 لجهوده الفكرية في هذا السبيل([4]) .

ومن تلك التقارير المهمة التي قدمها فضلًا عن المسح الذي انجزه بأدوات حديثة في ذلك العصر (في الثمانينيات من القرن العشرين) شملت الخرائط والصور والشرائح(Slides)، وتضمنت جهوده أيضًا تقارير للرد على بعض التقارير والدراسات الخاصة باستدامة التراث الموصلي في مقدمتها ملاحظاته حول تقرير الشركة الفرنسية عام 1979م، وتقريره عن أطروحة دكتوراه حول دور الموصل التراثية المقدمة من السيد فلاح صباح الكبيسي في 1980([5])

عاين الدكتور عماد الدين خليل تراث المدينة معاينة ميدانية فلا يكاد بيت في الموصل القديمة لم تصله قدماه وتتجول عيونه مع مساعديه من الموظفين منحنيات وزوايا البيوت والمحلات والمباني القديمة باحثة عن خصائص تراثية لغرض توثيقها وتثبيت خصائصها بالصور الفوتوغرافية والشرائح الملونة، والمرتسم الهندسي وتسقيطه على خرائط الكادسترو(خرائط مساحية تفصيلية).

وهكذا شملت الجهود مفردات التراث العماري الموصلي من أسوار وأبواب وأبراج وأسواق وخانات وحمامات وقيصريات ومقاهي ومطاعم وقناطر وحارات ومساجد وكنائس كلها وجدت طريقها في توثيقاته لغرض رفعها إلى المؤسسة العامة للآثار والتراث في بغداد.

حمل الدكتور عماد الدين خليل مسؤولية الحفاظ على ما تبقى من جوانب تراثية لمدينة الموصل قبل أن تفقد خصائصها، وقدم ملاحظات واقتراحات من أجل تجديد الحياة في شرايين الموصل القديمة واستدامة مختلف جوانبها التراثية ما استطاع إلى ذلك سبيلا. وتأتي هذه الاسهامات لتنسجم مع توجهاته الفكرية القائمة على نظرية الاستخلاف وإعمار الأرض؛ إذ إن حماية البيئة وإعمار الأرض هو من صميم مقاربات الدين الإسلامي الذي دائمًا ما كتب حوله ونادى بأهميته ([6])؛ فالحاجة إلى تنمية الموارد وتحقيق الاستقرار والرفاه هي جزء من متطلبات التنمية المستدامة التي تشكل الحفاظ على الموروث إحدى روافد عملها([7])

أولًا : تحليل عام للمعطيات التراثية

([1]) فاطمة سالم باجابر. التعددية الثقافية العالمية في ضوء القيم الإسلامية للحوار الحضاري (دراسة تحليلية). مجلة كلية التربية (أسيوط), 37(2) (2021)., 355-404.

([2]) الموسوعة الرقمية العربية https://tagepedia.org/Entry.aspx?id=24589&title=

([3]) عماد الدين خليل، خطوات في تراث الموصل، دار ابن كثير (دمشق-بيروت:2018)، ص8

([4]) الملتقى التكريمي، عماد الدين خليل؛ مفكرا ومبدعا، الجلسة الافتتاحية
https://www.youtube.com/watch?v=efrCZZ5B1Pc :

([5]) خليل، المصدر السابق، ص173-181

([6]) عماد الدين خليل، حول اعادة تشكيل العقل المسلم، سلسلة كتاب الامة،(قطر: 1403هـ)، ص113؛ خليل، التفسير الاسلامي للتاريخ، دار العلم للملايين (بيروت: 1981)، ص173-179

([7]) شكراني، الحسن ، حقوق الأجيال المقبلة بالإشارة إلى الأوضاع العربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات(الدوحة: 2018)، ص37

سجّل الدكتور عماد لدين خليل ملاحظاته بخصوص المعطيات التراثية ومفهومها؛ فهي عنده تمثل المعلومات والمواد المتعلقة بالتراث، سواء كانت مادية أو غير مادية، والتي تعكس تاريخ وحضارة وثقافة معينة وتراثها وتشمل هذه المعطيات كل ما خلفه الأجيال السابقة من آثار، وعادات، وتقاليد، وفنون، وعلوم، وأدب، ومظاهر ثقافية شكلت هوية ووجود المجتمعات؛ فهو يرى أن ثمة طريقتين أو منهجين لتحقيق هذا التراث؛ يتمثل المنهج الأول بالقيام بدراسة شاملة للمعطيات التراثية عبر نموها الزمني ومتابعة هذه المعطيات في سبيل تقديم وصف تحليلي لما بقي منها وما اندثر، ومن الضروري هنا اعتماد مقاربة المسح الميداني الشامل لكل تفاصيل هذه المعطيات التراثية وجزئياتها؛ أما بالنسبة للتراث اللامادي الممثل بالعادات والتقاليد؛ فاقتضي اعتماد المنهج التاريخي جنبًا إلى جنب الدراسة الميدانية([1]) .

وبناءً على ما سبق يقسم المعطيات التراثية إلى ثلاثة جوانب:

1- المعطيات العمرانية

2- المعطيات الأخرى (الخطوط والزخارف والمخلفات الشيئية)

3- العادات والتقاليد الثقافية والاجتماعية

بالنسبة للمعطيات العمرانية على الرغم من الإهمال وعوامل التخريب فإن ثمة معطيات عمرانية كثيرة في المدينة مما يدل على كثافة تراثية واضحة في هذه المدينة العريقة فثمة بقايا أسوار وقلاع وأبواب ودور وقصور وقناطر وجوامع وكنائس ومدارس ومكتبات وخطوط وزخارف وشوارع وأزقة وحارات ومقاه وحمامات وأسواق وقيصريات وخانات وجسور، ويرى أن الخطوات المطلوبة هي حصر هذه المعطيات بعد مسحها ميدانيًّا مسحًا شاملًا وتصنيفها، ثم جدول عمل بصيانتها وحمايتها والتدرج على وفق الأهم فالمهم([2]) .

فالأسوار والقلاع والأبواب من المستحيل اعادتها بالكامل كما يعتقد الدكتور عماد الدين خليل ولكنه يقترح حلًّا وسطًا يتمثل بإعادة بناء جوانب من السور في الاماكن التي تتيح ذلك، توازيها محاولة إقامة عدد من الأبواب القديمة (لا تتجاوز الثلاثة ابواب) تبقى تلك المعالم بمثابة شواهد ناطقة من دون أن يؤثر على متطلبات نمو المدينة([3])، أما القصور فبالإمكان اتخاذ بعضها متاحف لعرض المنقولات التراثية من اثاث وملابس ومواد يمكن الافادة من معطيات التاريخ وما دونه الرحالة والكتاب والمؤرخون المحليون لهذه المعطيات وطرز البناء لاسيما في ذكر البناء المقبب والمواد المستعملة في البناء والزخارف وطبيعة الجدران الخارجية وبناء الغرف وشكلها والسراديب والأواوين ([4]).

من جهة ثانية للمؤسسات الرسمية أهمية في تجديد التراث واستدامته إذ لا بدَّ من إخضاع بعضها للتجديد والاستدامة فمثلًا سراي الحكومة بالقرب من باب السراي أو القلعة العثمانية (ايج قلعة) أو البارود خانه ونحوها من المعالم والمؤسسات الرسمية بالإمكان الافادة منها واعادتها إلى سابق عهدها والافادة منها كمعلم سياحي يكون نقطة جذب سياحية([5]).

والأمر نفسه ينطبق على الأواق والخانات والقيصريات ولا سيما أن موقع هذه المباني لا يزال محافظًا على بعض السمات التراثية ولم يغير الزمن شيء سوى بعض ملامحه، أما المكان فلا يزال يقاوم التغيير، وبالنسبة للمساجد والجوامع والكنائس فهي الأخرى كانت أكثر محافظة على السمة التراثية فيها بحكم وجود دوائر حكومية ترعاها وتراقبها لذلك تحتشد في المدينة القديمة للموصل العشرات من هذه المباني الدينية حيث اجرى مسحًا لها ووجد أنها تمتاز بالغنى والكثافة مقارنة مع المباني الأخرى ([6]).

ومن المعطيات التراثية الأخرى التي نوه إليها ودعا إلى إبراز معالمها بالاعتماد على ذوي الخبرة والأصالة هو الخطوط والزخارف التي فرشت صفحات المدينة القديمة على واجهات العمائر والبيوتات وافاريزها، واثاث المنازل؛ إذ تنتظر مثل هذه الكنوز دور أهل الاختصاص لإخراجها بالشكل الأمثل([7])

وإلى جانب هذه المعطيات هناك مواد أخرى أطلقت عليها تسمية: المخلفات الشيئية (المنقولة) ويقصد بها المواد المنزلية والاثاث والملابس والتحف الفنية وأدوات الزينة والنقود والغرض منه تحديد انماط الاشياء المنقولة المراد حمايتها، ودراستها، وإلى جانب تسجيل وتدوين تلك المعطيات الشيئية ينبغي التنويه إلى أهمية النظر في شهادات الجيل السابق عبر الروايات الشفوية وما لها من قيمة حضارية وما تنطوي عليه من معلومات تاريخية وحكايات شعبية وتعابير والفاظ قد لا نجدها في الجيل الحالي، ففيها الكثير مما يعين ويختصر

([1]) خليل، خطوات في تراث الموصل، ص98.
([2]) المصدر نفسه ، ص99
([3]) المصدر نفسه، ص102-103
([4]) المصدر نفسه، ص104
([5])المصدر نفسه،ص107
([6])المصدر نفسه، ص110-119
([7])المصدر نفسه، ص119-120

الطريق فضلًا عن شهادات الجغرافيين والرحالة الذين زاروا المدينة وسجلوا ما شاهدوه، فمثلًا نجد الرحالة البريطاني جاكسون(Jackson) عام 1767م لاحظ أن سكان الموصل أكثر اهتمامًا بالصناعة من أي قوم رآهم منذ مغادرته الهند ([1])، وكذلك الرحالة إيفز (Ivez) الذي زار الموصل قبل جاكسون وتحديدًا سنة 1758 واشاد بمصانع النسيج الموصلي وأثنى على جودة مصنوعاتها ([2]) والأمر نفسه امتدحه الرحالة الدانماركي كريستن نيبور (C.Niebuhr)عام 1766م بانتشار مصانع النسيج والحياكة والصباغة وطباعة النقوش على المنسوجات ([3]) أن هذه الشهادات الحية تقدم لنا اشارات هامة على أهمية الصناعة في الموصل في الحقب السابقة واهمية اعادة النظر بمكانتها الحالية وما تعانيه من تدهور . إن هذا الاهتمام يعبر عن خصوصية حضارية نحن بحاجة إلى العناية بها([4]).

وأما العادات والتقاليد الاجتماعية التي يمكن عدّها ضمن التراث اللامادي فيشير إلى تبلور ممارسات وفعاليات اجتماعية تميزت بها المدينة عبر قرونها الأخيرة واصبحت جزءًا أساسيًّا من شخصية المدينة وملمحًا واضحًا من ملامحها التراثية([5])، ويسرد بعضًا من تلك العادات والتقاليد من ذلك: تقاليد الختان والزواج والبناء واحتفالات رمضان والمولد النبوي والعاب الصبيان ومواسم النزهات والسفرات ووجد أن الاتصال المتزايد بمعطيات الحضارة الغربية المعاصرة أدى إلى ذوبان بعضٍ من تلك العادات والتقاليد وتلاشيها تاركة الميدان لتقاليد الحداثة؛ ويحذر من اختفائها كليًّا لذلك لا بدَّ من دراستها وتثبيت الضروري منها لحمايتها من الانقطاع والضياع من خلال تبني شهادات الجيل الذي عاش تلك التقاليد ([6]) لذلك تقع مسؤولية حصر التراث الموصلي وتسجيله وتوثيقه على الجهات الآثارية التراثية فضلًا عن التاريخية يساعدها جهات أخرى من قبيل الفنون الجميلة والتاريخ والمراكز البحثية التي تعنى بهذه القضايا.

ثانيًا : تحديات تواجه تجديد التراث واستدامته

وثمة تحديات تواجه عمليات تجديد التراث واستدامته، ومن بينها طغيان الحداثة ولا سيما النمط العماري الغربي الحديث الذي يحاول محو وجه التراث المتميز ويقطع جذوره الموغلة، فان عملية نقل صيغ العمارة الغربية والديكور الغربي يساهم في الفتك بما تبقى من مزايا تراثية في مدننا، وليس هذا هو التحدي الوحيد الذي يواجه تراثنا، فهناك عوامل أخرى لا تقل خطورة تتمثل بالعوامل الطبيعية ولا سيما عوامل التعرية والتآكل الطبيعية([7]) والعوامل البشرية ايضًا التي أتت على بعضها وخلخلت البعض الآخر؛ فقسوة المناخ من العوامل التي تواجه تجديد التراث؛ إذ يتسبب في تلف المواد الإنشائية وتآكل المواقع الأثرية([8]) وفقدان هذه المواقع ليس له تأثيرات ثقافية فحسب، بل يمتد بتأثيره على السياحة ورفاهية المجتمع بشكل عام، مما يعكس الحاجة إلى استراتيجيات حماية فعالة. من ذلك على سبيل المثال قلعة باشطابيا ودور المملكة (قره سراي)([9])

وهناك تضاؤل الوعي التراثي، والنزعة المصلحية الصرفة التي تسعى إلى هدفها باقل الجهود الإبداعية ويقدمه على حساب التراث وضرورات التوسع الحيوي للمدينة الذي يؤثر على النسيج التراثي للمدينة ([10])، ومن أجل حصر الموجودات التراثية الخاصة بالموصل على سبيل المثال قدم الدكتور عماد الدين خليل عرضًا بالموجودات التراثية الخاصة بمدينة الموصل القديمة من أجل ضبط تلك الموجودات، وضمن جهوده في هذا المجال تم تقسيم مدينة الموصل القديمة إلى قطاعات بلغت سبع قطاعات مثلت مناطق نموذجية تحتاج إلى حماية، وتم رسم خارطة تفصيلية للقطاعات تتضمن أهم موجوداته الآثارية والتراثية. ولكن عند التدقيق في تلك القطاعات والموجودات الآثارية والتراثية تبين اغفاله بعضًا من تلك الموجودات، والجدول أدناه يبين ما تم حصره من موجودات تراثية حسب المسح الميداني الذي قدمه الدكتور عماد الدين خليل.

القطاعات	الموقع	اهم الموجودات											
		الجوامع	الكنائس	الأبواب	التلاع	المشهد	المباني الحكومية	الأسواق	القناطر	البيوت	المقاهي	الحمامات	مطاعم

([1]) جاكسون، مشاهدات بريطاني عن العراق 1797، ترجمة خالد فاروق عمر ، الدار العربية للموسوعات(بروت: 2000)، ص105

([2]) عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي ، مطبعة الاداب(النجف: 1975) ، ص288-289

([3]) كارستن نيبور، رحلة نيبور الكاملة إلى العراق ، ترجمة : سعاد هادي العمري ومصطفى جواد ومحمود حسين الامين، دار الوراق،(بغداد-بيروت:2012)، ص114.

([4]) التويجري، عبد العزيز عثمان، التراث والهوية، (ايسسكو: 2011)، ص7

([5]) اصلان، ص8-9

([6])خليل، خطوات في تراث الموصل، ص123

([7])Colette, A. (2013). Case studies on climate change and World Heritage. UNESCO Publishing, p.124.

([8]) إيمان الوراقي، خطر داهم.. تغير المناخ يعصف بتراثنا الثقافي ويهدد هويتنا الإنسانية ، موقع جسور بوسن على الرابط، بتاريخ 1 ايلول 2024 متاح على الرابط:
https://jusoorpost.com/ar/posts/44123 /

([9]) بالصور.. تعرف على قلعة باشطابيا الأثرية في الموصل
https://www.aljazeera.net/culture/2021/10/27

([10]) خليل، خطوات في تراث الموصل ، ص85-87

القطاع الأول	منطقة الميدان	6	4	7	2	1	1	-	-	-	-	-	-
القطاع الثاني	منطقة باب الطوب	5	-	-	-	-	-	30	-	-	3	2	4+
القطاع الثالث	منطقة باب النبي	17	-	-	-	1	-	-	3	-	-	-	-
القطاع الرابع	منطقة المشاهدة	16	3	-	-	7	3	-	-	9	-	4	-
القطاع الخامس	منطقة باب لكش	13	-	2	-	-	1	2	5	7	-	-	-
القطاع الساس	منطقة الرابعة وامام	3	2	3		1	-	-	14	50	-	2	-

وبعد معاينة ما تم حصرة وتسجيله من معطيات تراثية ثمة موجودات لم يشملها المسح وفي الجدول الآتي قائمة بأسماء المباني التي لم يشملها المسح الميداني للفريق التراثي العامل مع الدكتور عماد الدين خليل .

القطاعات	الموقع	اهم الموجودات											
		الجوامع	الكنائس	الأبواب	القلاع	المشهد	المباني الحكومية	الأسواق	القناطر	البيوت	المقاهي	الحمامات	مطاعم
القطاع الأول	منطقة الميدان	4	-	-	1	3	-	3	1	-	1	1	-
القطاع الثاني	منطقة باب الطوب	1	-	1	-	1	1	-	2	-	1	1	-
القطاع الثالث	منطقة باب النبي	-	-	-	-	-	-	2	-	2	+5	2	-
القطاع الرابع	منطقة المشاهدة وخزرج	-	-	1	-	-	-	-	-	-	-	-	-

القطاع الخامس	منطقة باب لكش	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
القطاع الساس	منطقة الرابعية وامام عون الدين	1	-	-	-	-	1	-	-	-	-	-	-

ففي القطاع الأول شمل المسح الميداني جامع القلعة الذي للأسف لم يبقَ له اثر في هذا الوقت وبحسب المعطيات الميدانية يشير الدكتور عماد الدين خليل إلى أهمية جامع القلعة ولا سيما المصلى والمئذنة التي كانت مبنية من الآجر وعليها زخارف آجرية ناتئة؛ لكن البلدية هدمت الجامع واقامت مكانه بناء للبلدية، ولم يبقَ للجامع أثر على الرغم من كونه يعود بتاريخه إلى بدايات العهد العثماني(1620م)([1])، بالمقابل لم يشمل المسح الميداني للقطاع الأول أسماء ثلاثة مساجد هي: مسجد الياس بك ومسجد أحمد السبعاوي ومسجد الكوازين ومسجد زنكنة، زأما القلاع فلم يشمل المسح الميداني القلعة الداخلية العثمانية (ايج قلعة) واكتفى بذكر قلعة الموصل(باشطابيا)؛ في حين لم يشمل المسح الميداني أسماء ثلاثة مواقع اثرية هي مشاهد: عيسى دده ، ومشهد الإمام محسن ، ومشهد الإمام عبدالرحمن، واكتفى المسح بذكر مشهد الإمام يحيى أبي القاسم. وأما الأسواق فلم يشمل المسح سوق الميدان وسوق النجارين وسوق السمك، وأما الخانات فلم يشر المسح إلى حوش الخان بوصفه منطقة تاريخية هامة، وكذلك بالنسبة للمقاهي لم يؤشر لمقهى البلدية.

وأما القطاع الثاني وهو قطاع باب الطوب الممتدة حدوده من شارع نينوى شمالًا إلى الكورنيش شرقًا إلى شارع العدالة غربًا إلى جسر الحرية جنوبًا فهو كذلك من أهم المناطق الحيوية التي تزخر بالمعطيات التراثية والآثارية([2]) وقد لوحظ في أثناء المسح الميداني أيضًا عدم تسجيله لبعض المعطيات ويمكن ذكر أهمها من حيث الجوامع إغفاله لجامع محمد الصابونجي ومن حيث الأبواب لم يشمل باب الطوب ومن حيث المشاهد لم يذكر مشهد عمر الملا ومن حيث الخانات لم يشمل خان الصالحية وخان الباليوز ومن حيث المقاهي لم يذكر مقهى الثوب ومن حيث الحمامات لم يذكر حمام النعيم، ومن حيث المباني الحكومية لم يشير إلى الإعدادية الشرقية.

وأما القطاع الثالث فعند دراسة المعطيات المقدمة مع ما موجود يتضح أنه أغفل خانة الأسواق؛ إذ لم يشير إلى سوق الشعارين أو سوق السرجخانه، وكذلك بالنسبة للبيوت التي احتوت المنطقة على العديد من البيوت التراثية منها بيت حمو القدو وبيت الصابونجي، وكذلك بالنسبة للمقاهي؛ إذ انتشرت المقاهي في تلك المنطقة بشكل كبير.

وفي القطاع الرابع أغفل ذكر باب سنجار الذي يشكل البوابة الغربية للمدينة القديمة، وأما القطاع الخامس؛ فلم يفصّل في أسماء المعطيات التراثية في حين اختصر كثيرًا المعطيات التراثية في القطاع السادس بالنظر إلى سعة المنطقة وكثرة تلك المعطيات ومع ذلك اغفل ذكر جوامع مهمة مثل جامع الجويجاتي كما أغفل سوق شهر سوق القديم) .

إن هذه الملاحظات التي تم تشخصيها عبر الجدول آنف الذكر لا يقلل البتة من الجهد الكبير الذي بذل من الدكتور عماد الدين خليل وفريقه المسحي ولكن محاولة تسليط الضوء على معطيات تراثية ربما لم يسعفهم الوقت لرصده وتضمينه مسحهم الميداني فجاء به بعض النقوصات. وكان من الأجدر بمفتشية الآثار وتراث نينوى أن تجهّز فرق إضافية للقيام بهذا الجهد وعدم اقتصاره على فريق واحد.

ومع هذا لم يقتصر المسح الميداني على مجرد إحصاء وتعداد لتلك المباني والمعطيات التراثية فقط، وهذه هي النقطة المهمة، بل أيضًا قدم ملاحظات قيمة على بعض تلك المباني التي يجب أن تُؤخذ بعين الاعتبار اثناء محاولة تجديدها واستدامتها فمن ذلك انشاء القلعة الداخلية (ايج قلعة) والامر نفسه فيما يخص جامع بكر أفندي(1780م) ([3]) الذي ازيلت السبيلخانه والمدرسة والمكتبة الخاصة به.

لقد شمل المسح الميداني المباني الآتية فيما يخص القطاع الأول: جامع حمو القدو وجامع الأموي ومسجد السبعاوي (مشهد ابن الحنفية) وجامع عبدالله بك وجامع شيخ الشط (جامع يونس النحوي)، وبيعة السريان الأرثوذكس وكنيسة الأرمن وكنيسة مار شعيا وكنيسة الطاهرة فضلًا عن السور والأبواب القديمة (باب الجسر وباب السر وباب القلعة وباب المشرعة وباب شط المكاوي وباب الشط المبني على انقاض باب المشرعة والباب الصغير، وأخيرًا يوجد في هذا القطاع دور المملكة (قره سراي) وباشطابيا ومشهد الإمام أبي القاسم([4]) .

([1]) سعيد الديوه جي، جوامع الموصل في مختلف العصور، الدار العربية للموسوعات(بيروت: 2014)، 317-320

([2]) صفا ماجد محمد حسن الهاجري، التوسع العمراني لمحلة باب الطوب (طوب قابي محله سي) ابان العصر العثماني – دراسة اثارية – تخطيطية-عمارية ، رسالة ماجستير (كلية الاثار: جامعة الموصل 2025)، 17-19.

([3]) الديوه جي، المصدر السابق، ص269-273

([4]) خليل، خطوات في تراث الموصل، ص128-142

من جهة أخرى يبدو أن القطاع الثاني له سمات تراثية مهمة تجعل منه قطاع نموذجي في مجال السعي لحماية التراث لكنه يجده يتعرض لمخاطر عدة يتهدد معطياتها بالإزالة والهدم أو حتى التخريب ومن أبرز ما يتهدد القطاع الثاني: خطط البلدية المستمرة بصدد تغيير خرائط المدينة، ورغبة اصحاب الاملاك في تنمية مواردهم، عن طريق هدم أملاكهم القديمة، وإعادة بنائها، وفقًا للطرائق الحديثة، وتساهل مؤسسات رسمية كالأوقاف والبلدية إزاء التغيير العمراني، وانعدام الحس التراثي أو انحساره لدى جمهور عريض من أبناء المدينة، وقد شبّه تلك التهديدات بأنها تيارات مضادة للتراث ([1]).

وفي القطاع الثالث يوجد صعوبات في مسح هذا القطاع الذي شمل محلات باب النبي وجمشيد والمكاوي والخاتونية وعبدو خوب وإمام ابراهيم حيث كانت كثافة الدور القديمة تشكل صعوبة في فحصها جميعًا وما يرافق ذلك من صعوبة في دخولها كونها مسكونة وصعوبة تحديد تاريخ البناء لهذه الدور حيث تم الاعتماد على ذاكر السكان ولاحظ في هذا القطاع كثرة المساجد التي نافت على الأربعة عشر مسجدًا وثلاثة جوامع مشهورة (الجامع الكبير النوري وجامع النبي جرجيس وجامع جمشيد) ([2]).

وأما القطاع الرابع الذي يتميز بمساحته الواسعة فبعد أعمال مسح استغرقت أشهرًا عديدة تبين أنه ثمة تفاوت في قيمته التراثية؛ فهو يعاني شحة في بعض جهاته الشمالية الغربية في حين يزداد تركيزًا في جهاته الجنوبية والشرقية، وذلك بسبب أن الأخيرة أقدم عهدًا وقطنتها عوائل متوسطة الحال وغنية على العكس من الجهات الشمالية الغربية، والملاحظة الثانية أن الجهات الجنوبية والشرقية سكنتها عوائل مارست مهنة البناء لذلك تفننت في بناء دورهم وزخرفتها عكس الجهات الأخرى التي اتسمت بالفقر والمساحات الصغيرة([3]) .

وأما القطاع الخامس فيصفه بأنه نموذج لما تعانيه المناطق التراثية من حصار وتضييق وإزالة وتغيير، فشوارع خالد بن الوليد و14 رمضان والعدالة أزال مساحات واسعة من هذا القطاع كانت تحتوي في يوم ما على معطيات تراثية فتمت إزالته مثل خان الحنطة في باب الطوب أو تغيير وظيفته مثل شارع النجفي ([4]) الذي كان شارعًا للمكتبات وتحول إلى شارع للحلويات([5]).

وأما القطاع السادس والاخير فيتميز بقيمته التراثية خاصة السكنية؛ إذ تحتوي على مجموعة غنية من الدور التراثية ولا سيما دور ال الجليلي (وهي واحدة من الأسر المعروفة في الموصل والتي تولى أبناؤها حكم الموصل للمدة 1726-1834م) ([6])، فضلًا عن المباني الدينية الإسلامية والمسيحية كجامع العمرية (1563م) وكنيسة الدومنيكان (كنيسة الساعة) (1866م) وبقايا سور الموصل القديم في جامع البشير (باب جديد)، وقد لقيت اللجنة متاعب في هذا القطاع لم تجده في غيره بسبب كثرة الأزقة وضيق المساحات ([7])

ثالثًا : خطوات على طريق تجديد التراث واستدامته

ثمة مسارات يمكن التحرك عليها بغية تجديد التراث واستدامته ومنها استملاك عدد من المواقع التراثية ذات البعد التراثي الأصيل والمهم والعمل على صيانته وتجديد مبانيه، وقد يشمل ذلك مبانٍ عامة أو خاصة كالدور والحمامات والخانات والأسوار والأبراج والأبواب والمباني الأخرى التي تكتنز التفاصيل التراثية؛ ثم بعد ذلك يأتي دور الجهات المختصة بترميم التراث وتوثيقه واستدامته، وهناك أكثر من جهة تؤدي دورًا أساسيًّا في تجديد التراث واستدامته، فالمؤرخون والآثاريون والمهندسون والفنانون من الاختصاصات التي تسهم في ذلك كل حسب اختصاصه، وهنا تتقدم المفتشية العامة لآثار وتراث نينوى وجهودها في قيادة هذا المشروع؛ فقد كان لها في مطلع ثمانينات القرن العشرين مكتب هندسي (مكتب الانشاءات الهندسي) عُهد إليه بتوثيق عدد من المباني والمواقع ذات الصفة التراثية وكانت تحت إشراف الاستاذ الخطاط يوسف ذنون (1932-2020) والمهندس المعماري أحمد مجيد ملا شريف والمهندس الاستشاري عبد الكريم الصائغ وبناء على جهودهم تلك أصدروا مؤلف من ثلاث مجلدات سنة 1982 تألف الجزء الأول من : العمائر السكنية في مدينة الموصل ، وهي نماذج من التوثيق العام) شملت هذه النماذج أربع من بيوتات الموصل التراثية وهي : بيت أمين بك الجليلي (1162هـ/ 1748م) وبيت التوتونجي (1232هـ/ 1815م) وبيت عبدوني (أوائل القرن الثاني عشر الهجري/ أوائل القرن الثامن عشر الميلادي) وبيت زيادة (النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي)؛ وقد يخفى على الكثيرين دور الدكتور عماد الدين خليل في دعم هذه الدراسة بتقديم التسهيلات لها جنبًا إلى جنب مع بقية الموظفين والعاملين في المديرية العامة لآثار ومتاحف المنطقة الشمالية.

كما أسفرت جهودهم أيضًا عن إصدار المجلد الثاني الذي تناول العمائر الخدمية في مدينة الموصل، ولا سيما الأسواق: سوق تحت المنارة، وسوق الحدادين (أوائل القرن الثاني عشر الهجري/ أوائل القرن الثامن عشر الميلادي)، وسوق العتيق (قيصرية العطارين)

([1]) المصدر نفسه، ص145-146
([2]) المصدر نفسه، ص153-155
([3]) المصدر نفسه، ص156-157
([4]) المصدر نفسه، 161
([5]) محمود صالح سعيد، معالم موصلية ، دار كشكول للطباعة (الموصل: 2024)، 96-107
([6]) سهيل قاشا، الموصل في العهد الجليلي، دار التنوير للطباعة والنشر(طرابلس: 2008)، ص172-186
([7]) خليل، خطوات في تراث الموصل، ص167

(1169هـ/1755م) وتناولت أيضًا القيصريات: قيصرية البزازين (قيصرية علي أفندي) (أوائل القرن الثاني عشر الهجري/ أوائل القرن الثامن عشر الميلادي) وقيصرية سباهي بزار (القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي) تلك القيصرية التي دمرت بشكل كامل في العلميات العسكرية الأخيرة ولا تزال تنتظر اعادة البناء؛ وتناولت الدراسة ايضًا الخانات: خان الكمرك (1114هـ/1702م) وخان القلاوين (القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي) وخان حمو القدو (القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي) وتناولت الحمامات: حمام العطارين (1169هـ -1755م)، وتناولت المقاهي: مقهى قيصرية علي أفندي(1293هـ/ 1876م) ([1]) وتناول المجلد الثالث العمائر الدينية في مدينة الموصل شملت أربعة جوامع وكنيسة وهم على التوالي: جامع النبي جرجيس (القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد) وجامع جمشيد (600هـ/1203م) وجامع الأغوات (1114هـ/1702م)، وجامع الباشا (1169هـ/ 1755م) وكنيسة شمعون الصفا (القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) فضلًا عن المدرسة الخليلية في جامع الأغوات والمدرسة الأمينية في جامع الباشا([2])

هذه العمائر والمباني المهمة تعد خطوة مهمة وكبيرة في طريق تجديد التراث واستدامته تحتاج إلى خطوات أخرى لتواكب تلك الجهود لا سيما وأن ثمة مباني وعمائر أكثر أهمية وخطورة تحتاج إلى تجديد واستدامة من تلك على سبيل المثال القلاع مثل قلعة الموصل (باشطابيا) أو القلعة العثمانية (ايج قلعة) أو السور العثماني والأبواب والقلاع القريبة من الأبواب التي تحتاج إلى جهود دولية لإعادتها إلى الحياة وتجديدها لتمثل نقطة جذب سياحي مهم ويسهم في تعزيز الهوية الثقافية للمدينة ،ويعزز من قيم التعايش المشترك.

رابعًا: خطوات في سبيل استدامة التراث

تكللت جهود المديرية العامة لآثار ومتاحف المنطقة الشمالية التي عمل فيها الدكتور عماد الدين خليل لمدة طويلة في إنجاز مسح ميداني للموصل القديمة استمر أربع سنوات من لجنة قسمت المدينة القديمة إلى سبعة قطاعات، وضعت يدها على أهم المواقع التراثية ما بين دار وقنطرة وزقاق وجامع وكنيسة وقيصرية وخان ومقهى وحمام وباب وسور، ووثقت بعضها كتابيًا أو بالتصوير الفوتوغرافي أو المرتسم الهندسي والتسقيط على الخرائط، وهنا يؤكد الدكتور عماد الدين خليل على أهمية الجهود المشتركة في هذا المشروع منطلقًا من قناعته بأهمية المشروع وضرورة تكاتف كل الجهود الممكن لنجاحه فيشير إلى أهمية التنسيق المشترك مع المؤسسات ذات العلاقة لاسيما الأوقاف والبلدية ([3]) وصل بها الحال كما يقول :" والآن ما من إجازة بناء أو إعادة بناء تقول فيها البلدية كلمتها؛ قبل أن تمرر بقسم التراث في المديرية العامة للآثار؛من أجل حماية الموقع التراثي من التغيير والدمار"(عماد الدين خليل، خطوات، ص88)، ولا يفوته ذكر التعاون مع أقسام الهندسة في الجامعات العراقية ولا سيما جامعة الموصل؛ فقد استمرت جهود الدكتور عماد الدين خليل لمدة أربع سنوات من أعمال المسح؛ فكان يقول :" كان الأمر كما لو كان اكتشافًا يوميًّا فيه متعة الإبداع الفني ومعاينته ومعاناته.. اكتشافًا لأزقة لم تطأها أرجل الكثيرين منا لحارات ومحلات تقع في أعماق المدينة القديمة، ويطوى جناحاها على العديد من الدور التي تتنادى بالتقاليد المعمارية نفسها، .. يومًا بعد يوم نلتقي مع واجهات الدور المطلة على الأزقة الرطبة، الملتوية، الظليلة.. ومع الجبس والمرمر كانت هناك اللمسات الفنية التي تزين هذه الجدران أو تمنحها الحركة المطلوبة"([4])، ولاحظ فيما لاحظ من المسح أن ثمة خطوطًا من الأكباش المرمرية تندرج ما بين الواحد والثلاثة، تحمل فوقها جانبًا من الطابق الثاني لدار تريد أن تمدَّ رأسها على فناء الزقاق، محاولة الاستفادة منه تعويضًا عن الأرض الضيقة، وثمة فتحات نوافذ دائرية أو مستطيلة ذوات اطار مرمري تبرز منها – أحيانًا- المحجرات الحديدية ذات النقشة المعروفة والتي تذكر المرء إذا ما احاط بأطرافها الحجرية الطحلب الأخضر، أو تدلت من حوافيها النباتات الزاهية بأزقة قرطبة وغرناطة والأكشاك الخشبية الممتدة (الشناشيل) التي تطلُّ على الأزقة بعرض متر أو مترين بألوانها البنية والسماوية والخضراء وزخرفتها البديعة على الخشب([5]). لقد أراد الدكتور عماد الدين خليل من استعراض بعض سمات المعماري الموصلي وخصائصه الإبداعية والتأكيد على أهميته بالتركيز على خصوصية الفن الموصلي وإضافاته الإبداعية المنبثقة من موارد المدينة الطبيعية ولا سيما المرمر والجبس وتأكيداته بصورة مستمرة على ضرورة إيجاد طرائق معمارية تحقق التوافق بين القديم والحديث على مستوى مواد البناء والتصاميم، وعدم التخلي عن التقليد مع أهمية تقديم دراسات اكاديمية متخصصة تتناول الوحدات المعمارية للبيت الموصلي، ولا سيما الواجهة الخارجية والإيوان والغرف والأروقة والسطح والسرداب ونحوها.

وقبل هذا وذاك يشدد على ضرورة احياء ثقافة تراثية لدى المواطن قبل المختص للحفاظ على شخصية المدينة كإحساس عفوي مترع بالاقتناع يعرف ويدرك أهمية المباني التراثية بوصفها تعبير حقيقي عن جوهر الشخصية الموصلية والثقافة التراثية المبنية على الأصالة([6]).

([1]) يوسف ذنون واحمد مجيد ملا شريف وعبد الكريم الصائغ، العمائر الخدمية في مدينة الموصل نماذج من التوثيق العام، ج2، وزارة الثقافة والاعلام (الموصل: 1982) ص23.
([2]) المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص60-64.
([3]) خليل، خطوات في تراث الموصل، ص88
([4]) المصدر نفسه، ص89
([5]) المصر نفسه، ص89
([6]) المصدر نفسه، ص91

لقد بات من الضروري تجديد الحياة التراثية في مدينة الموصل والسعي لأدراجها ضمن التراث العالمي وإغناء تراثها العماري، وثمة خطوات يجدها الدكتور عماد الدين خليل ضرورية ومن الواجب تنفيذها لإعادة الحياة إلى مدينة الموصل، وتنطلق من كونها مدينة طاردة للسكان إلى مدينة جذب للسكان والسياح معًا، ويقترح خطوات عملية لتحقيق هذه الغاية في مقدمتها اعادة تشغيل عدد من المقاهي التراثية والمطاعم والحمامات والخانات والقيصريات والساحات لاستقبال مختلف الفئات الاجتماعية، من جهة أخرى الاهتمام بنظافة هذه المواقع وصيانة الطرق الفرعية (الأزقة الضيقة) والاهتمام بتصريف المياه، وتحويل عدد من الدور السكنية الكبيرة إلى متاحف ومراكز ثقافية وتحويل بعض الجوامع التاريخية كالجامع الكبير النوري إلى نقطة جذب سياحية واضيف إلى مقترحه هذا مقترح اخر يتمثل في تحويل بعض الجوامع التاريخية إلى وظائف علمية واكاديمية جنبًا إلى جانب وظائفها الدينية التعبدية، من ذلك على سبيل المثال إضافة مركز علمي أو كلية إلى الجامع الكبير النوري وتحويله إلى كلية أو حتى إلى جامعة جنبًا إلى جانب مع دوره الديني والسياحي؛ فيشكل نقطة جذب هامة وعلى مدار السنة يجتذب آلاف الطلبة للدراسة في تخصصات علمية أو إنسانية تسهم في رفد المكان، فضلًا عن المعالم المجاورة له بالمزيد من الزوار والسياح وطلبة العلم، وايضًا ينبغي عدم الاقتصار في ذلك على الجامع الكبير النوري، بل من المهم الاهتمام ببقية الجوامع ذات القيمة التاريخية كالجامع الأموي (المصفي) (أنشئ سنة16 هجرية) ([1]) الذي يعاني من ضيق المساحة بعدما كان معلمًا تاريخيًّا يسع للاف المصلين، وكذلك الأمر بالنسبة لجامع الخضر (الجامع المجاهدي)(انشئ572هـ)([2])، وجامع النبي شيت وجامع النبي يونس (عليه السلام)([3]) وجامع النبي جرجيس([4])؛ فهذه الجوامع ستكون منارات علمية وسياحية على مدار السنة تجتذب آلاف الطلبة وما سيرافق ذلك من توفير الخدمات الصحية والغذائية والسكنية، وبقية المستلزمات التي ستنعش الحركة الاقتصادية، وتوفر فرص عمل لآلاف العاطلين، وتدر على المدينة موارد اقتصادية اضافية .

كما ينبغي أن يرافق هذا الاهتمام اهتمام بالجوانب النفسية كالموسيقى وتشجيع اصحاب الحرف التراثية كالفخاريات والنجارة والنسيج والحداد وغيرها من الحرف التراثية القديمة، وفتح معاهد للتدريب على هذه الأشغال فهي حلقة ضرورية، ولازمة لتطوير التراث واستدامته، فالموصل هي مدينة الموسيقار عثمان الموصلي(1854-1923م)([5]) وإعادة إحياء تراثه فرصة لتجديد الموسيقى واستدامتها في المدينة.

وتضمنت رؤية الدكتور عماد الدين خليل أيضًا إيلاء الاهتمام بالواجهة النهرية واهميتها في تجديد التراث واستدامته وذلك عبر تسليط الاضواء المتغايرة عبر الضفة الشرقية لنهر دجلة، ومع الأضواء تسجيلات صوتية تحكي تاريخ المدينة عبر العصور([6])، وتعزف الألحان الموصلية الجميلة ولا سيما في مواسم معينة وعدّ الموصل عاصمة للثقافة العربية والإسلامية ولا سيما ألحان الموسيقار عثمان الموصلي.

ويقترح ملاحظات تنفيذية لحماية التراث المادي وغير المادي ببضعة خطوات ضرورية أهمها: تنظيم إحصائية بالمعطيات التراثية تتعلق بالعصر العثماني تحديدًا كون ما سبق من معطيات يمثل جزءًا من الاهتمامات الآثارية، وتدوين ملاحظات حول أهمية هذه المعطيات وقينتها التاريخية، وضع خطط لحماية تلك المعطيات عبر التثبيت والنشر، التنسيق والتعاون مع الدوائر ذات العلاقة لحماية المواقع التراثية من التخريب أو الاندثار أو الهدم، وبناء نماذج لمجمعات تحتوي على مختلف الجوانب التراثية من دار وخان ومقهى وحمام وسوق ومسجد وقنطرة إلى جانب استملاك عدد من المرافق التراثية، وتحويلها إلى أماكن سياحية ومواقع تحتضن انشطة ثقافية وفنية.

وفي سبيل حماية المواقع التراثية من الهدم والتخريب ينبغي على الأقل اختيار مواقع منتقاة لتنفيذ اعادة ترميم المواقع بغية استدامته ومن تلك المواقع على سبيل المثال: قيصرية سباهي بزار وقيصرية السبع بأواب وخان الكمرك وخان حمو القدو وسوق العطارين وسوق اليوزبكية وحمام الصالحة والعطارين ومقهى قيصرية علي أفندي ومطعم سيد بك ومطعم للباجة والسمك ([7]).

من جهة ثانية يرى أهمية المحافظ على المناطق القريبة من المعالم التراثية ومن ذلك ضرورة المحافظة على الخط الجنوبي للدكاكين القريبة على بيت التوتونجي في السرجخانه التي تم استملاك الدار من قبل المديرية العامة للآثار (مفتشية آثار وتراث نينوى) والعمل على استعادة أبواب مندثرة مثل باب الطوب وباب السراي ([8]).

لقد تضمن التقرير الذي أعدَّته لجنة المسح والتوثيق التراثي لعام 1981 والتي ترأسها الدكتور عماد الدين خليل جملة من الأنشطة بعد إن باشرت أعمالها في 1981/4/21 واهم الانشطة التي قامت بها اللجنة تمثلت بكتابة التقارير والدراسات عن الملامح التراثية والخلفيات التاريخية للموقع التراثي، كما شملت أعمال اللجنة المسح الشامل للمواقع التراثية بتقسيم المدينة إلى سبع قطاعات – كما أسلفنا – وتنظيم

([1]) الديوه جي، المصدر السابق، 15-30
([2]) المصدر نفسه، 77-94
([3]) المصدر نفسه، 95-130
([4]) المصدر نفسه، 133-157
([5]) عادل البكري، عثمان الموصلي، الموسيقار الشاعر المتصوف، مطبعة العاني(بغداد: 1966)ص65-76
([6]) خليل، خطوات في تراث الموصل، ص96
([7])المصدر نفسه، ص151
([8])المصدر نفسه، ص165

بيانات عن المواقع التراثية ذات الأهمية وفهرسة المعلومات التراثية لغرض الاختزال الزمني لدى البحث والدراسة وإنشاء نواة مكتبة تراثية خاصة تضم ما يمكن تجميعه من الكتب والدراسات الأبحاث الدوريات والوثائق المتعلقة بالتراث، وإنشاء نواة لمعرض أو إرشيف للصور الفوتوغرافية والشرائح والأفلام والتسجيلات وإنشاء نواة لغرفة خرائط ومخططات هندسية بمختلف الأنواع، والشيء الجميل أن اللجنة انجزت كل المهام المذكورة آنفًا، فقامت بكتابة عدد من التقارير والدراسات كتبها الدكتور عماد الدين خليل بنفسه حسبما ذكر لي في أثناء مقابلتي له في 15 حزيران 2025 في منزله، وقد تم طبع ثلاث نسخ من كل تقرير، وقدمت إلى قسم التوثيق في المؤسسة العامة للآثار والتراث، وإلى مكتب المتابعة في المديرية العامة لآثار، ومتاحف المنطقة الشمالية لكي توضع في إضبارة خاصة بالتراث، وأحتفظ بنسخة في ملفات اللجنة (وقد ذكر لي الدكتور عماد الدين خليل أن النسخة من التقرير لم يعد لها وجود فقد أهملت بسبب الحروب ولا سيما أحداث 2003) ([1]) في الموصل، كما تمكنت اللجنة من استكمال مسح القطاع الثالث، ومعظم القطاع الرابع وهذا يعني انه أكملوا نصف المشروع تقريبًا، كما تم تنظيم عدد من البيانات بالمواقع والدور التراثية ذات الاهمية وطبع بطاقات خاصة بالفهرسة التراثية لغرض اعتمادها ريثما تستكمل عملية المسح الشامل وتجميع عدد من الكتب، والأبحاث المتعلقة بالتراث وفهرسة أبحاث تراثية التي تتضمنها الدوريات ذات العلاقة في مكتبة المتحف لتسهيل الرجوع إليها والتقاط عدد من الصور الفوتوغرافية والشرائح التي يمكن أن تنمو بمرور الوقت، ويضاف اليها عدد من الأفلام والتسجيلات وأخيرًا تجميع عدد من الخرائط والمخططات الهندسية عن طريق الدوائر ذات العلاقة، وطلاب المساحة والهندسة المعمارية، فضلًا عن الخرائط الخاصة بالمديرية، فكانت هذه الإجراءات والتدابير في ذلك الوقت تمثل أقصى ما حاولت اللجنة عمله وانجازه ولكن مما يؤسف له أن هذه الجهود والأعمال المضنية التي قام بها الدكتور عماد الدين خليل وزملائه لم ترى النور أو تنفّذ فبقيت حبرًا على ورق كما ذكر لي ذلك الدكتور عماد الدين خليل بل بقيت على الرفوف تنتظر من يأخذ بيدها، وللأسف تعرض العراق إلى حروب في 1991 و2003 دمّر جهود اللجنة التراثية، ولم يعد لتقاريرها ومسحها أثر. وعلى الرغم نما أنجزته هيئة نينوى في مجال التراث ولا سيما إعادة بناء باب شط المكاوي والأقسام المجاورة من سور الموصل وصيانة مقام عيسى دده واستملاك دار النجدي وحمام القلعة والخانين المجاورين لباب شط القلعة وإجراء أعمال حفر واسعة في منطقة باب شط القلعة أابراجها واستملاك عدد من الدور المحيطة بمنارة الجامع الأموي واستملاك دار التتنجي وصيانة بعض جوانبه وإقامة مجمع تراثي في باب البيض تضمن عدد من المعطيات التراثية كالدار والقنطرة والباب القديم والمقهى والجامع والمسجد والسور ([2]).

وعلى أمل أن تقوم مفتشية آثار وتراث نينوى بجهود مماثلة؛ فإن جهود الدكتور عماد الدين خليل وفريقه في المسح التراثي ينبغي أن تؤخذ بالحسبان كونها أول محاولة جادة لفريق موصلي حاول أن يوثق تراث المدينة، ويقدم رؤيه العلمية لتجديد هذا التراث الزاخر واستدامته في وقت تحظى تلك الموضوعات باهتمام خاص من قبل المنظمات الدولية لا سيما اليونسكو([3]).

الخاتمة

في الحقيقة مثّلت جهود الدكتور عماد الدين خليل وفريقه إنجازًا مهمًّا في طريق توثيق تراث المدينة وخدمة تاريخها العريق عبر جهودها بتقسيم المدينة القديمة إلى سبعة قطاعات تم مسح أبرز معالمها العمرانية ذات القيمة التراثية في مسعى جاد لتجديد التراث والعمل على استدامته عبر خطوات عملية؛ ولكن مما يؤخذ على هذا الجهد وللأسف هو عدم مواصلته للعمل، وعدم تنفيذ الكثير من التوصيات التي قدمتها اللجنة ومن ثم بقيت مسوحات اللجنة واعمالها مجرد حبر على ورق تنتظر التنفيذ، وربما تعرضت بعض تقاريرها وصورها إلى الإهمال والتلف؛ مما يتطلب إعادة العمل واحياء هذه اللجنة ولكن هذه المرة عبر فرق عمل يتجه كل فريق إلى قطاع معين ويتم استخدام أحدث الوسائل مع أهمية أن يرافق ذلك عملية صيانة للأبنية والأماكن ونشر الوعي التراثي بين سكان تلك المناطق ونشر البوسترات التي تحذر من انتهاكها والاضرار بالمواقع التراثية .

لابأس من حماية الكثير من المباني والمواقع عبر نقل بعضها إلى المتحف وصيانة بعضها الآخر لصعوبة نقله كما يتم التشجيع على استملاك المباني والدور ذات القيمة التراثية العالية وتحويلها إلى متاحف متخصصة تجسد التراث الحضاري للمدينة؛ فيكون هناك متحف للألبسة ومتحف للأدوات المنزلية ومتحف للمهن وهكذا فيتشكل لنا في هذه البقعة مركز للمتاحف تكون نقطة جذب سياحية، وفرص عمل لأبناء المدينة وبذلك نكون قد ساهمنا بأمرين اساسيين وهما تجديد التراث واستدامته عبر خطوات عملية تتكاتف الجهود لتحقيقها .

وعلى أمل أن تقوم مفتشية آثار وتراث نينوى بجهود مماثلة؛ فإن جهود الدكتور عماد الدين خليل وفريقه في المسح ينبغي أن تؤخذ بالحسبان كونها أول محاولة جادة لفريق موصلي حاول أن يوثق تراث المدينة ويقدم رؤيه العلمية لتجديد هذا التراث الغني بالتفاصيل

([1]) مقابلة شخصية مع الدكتور عماد الدين بتاريخ 15/حزيران 2025 في منزله .
([2])عماد الدين خليل، خطوات في تراث الموصل، ص198
([3])احمد حنفي محمد امين داؤد، جهود امارة الشارقة بالامارات العربية المتحدة في صون وحماية التراث الثقافي وتنمية الوعي به: مؤسساتها الثقافية والمعلوماتية انموذجًا، مجلة بنها للعلوم الانسانية العدد 2 الجزء 3 لسنة 2023.
https://bjhs.journals.ekb.eg/article_320553_61345bf0381025ca36b5617e9167761a.pdf

واستدامته، ومحاولة العثور على التقارير والصور تقدم خدمة ممتازة لتراث الموصل؛ ولا سيما وأن كثير من تلك التقارير والصور التي وثقت وان مهمة من تراث المدينة لم يعد لتلك المواقع أثر أو وجود نتيجة الحرب الشرسة التي تعرضت لها المدينة القديمة في عام 2017.

وثمة خطوات ضرورية لتجديد التراث واستدامته يتمثل باستكمال مسح مناطق الموصل التراثية كافة وتوثيقها، وفهرستها وتكوين مكتبة ضخمة فيه متحف تراثي شامل يتضمن قاعات للعرض وقاعات للصور الفوتغرافية والعروض السينمائية التي تحكي تاريخ وتراث المدينة وقاعة بالخرائط والمجسمات، وقاعة للكتب والدوريات وقاعة للمناقشة ومختبرات للعمل التراثي إقناع المؤسسات الرسمية بأهمية اعتماد الطرائق التراثية في بناء العمارات والأبنية الواقعة في المنطقة القديمة، وتزويد متحف الموصل الحضاري بنماذج من قطع تراثية تشتمل على الأنماط التراثية كافة لتعزيز هوية الموصل التراثية في هذا الوقت الراهن ، وهكذا يتحول موقع المدينة القديمة في الموصل من وظيفته السكنية إلى متاحف، ومنتديات دور ضيافة للسائحين ومعاهد التدريب الآثارية والسياحي وأماكن للتصوير وتسجيل الأفلام الوثائقية والمسلسلات والأفلام الوثائقية المختلفة.

References

1 Arabic Digital Encyclopedia: https://tagepedia.org/Entry.aspx?id=24589&title

2 Al-Anzi, Walid Saud ,(2012). Popular arts and crafts as an approach to enriching art and art education curricula in light of the development strategy. Journal of Qualitative Education Research, 2012(24).

3 Bajaber, Fatima Sale]m , (2021). Global Cultural Pluralism in Light of Islamic Values for Civilizational Dialogue (An Analytical Study). Journal of the Faculty of Education (Assiut), 37(2), 355-404.

4 Al-Bakri, Adel ,Othman Al-Mawsili, The Musician, Sufi Poet, Al-Ani Press (Baghdad: 1966) Al-Bakri,

5 Colette, A. (2013). Case studies on climate change and World Heritage. UNESCO Publishing.

6 Dhunun,Yousef ,Ahmed Majeed Mulla Sharif, and Abdul Karim Al-Sayegh, Service Buildings in the City of Mosul: Models from Public Documentation, Vol. 2, Ministry of Culture and Information (Mosul: 1982)

7 Dawoud, Ahmed Hanafi Mohamed Amin, The Efforts of the Emirate of Sharjah in the United Arab Emirates in Preserving and Protecting Cultural Heritage and Raising Awareness of It: Its Cultural and Information Institutions as a Model, Benha Journal of Humanities, Issue 2, Part 3, 2023.

8 https://bjhs.journals.ekb.eg/article_320553_61345bf0381025ca36b5617e9167761a.pdf

9 Al-Diouji, Saeed ,Mosques of Mosul in Different Eras, Arab Encyclopedia House (Beirut: 2014),

10 Hanafi,Hassan ,Heritage and Renewal, Our Position on Ancient Heritage, Hindawi Foundation (United Kingdom: 2019).

11 Al-Hajri, Safa Majid Muhammad Hasan ,Urban Expansion of Bab al-Tub (Topkapi District) During the Ottoman Era - An Archaeological, Planning, and Architectural Study, Master's Thesis (College of Archaeology: University of Mosul 2025),

12 Honorary Forum, Imad Al-Din Khalil; Thinker and Creator, Opening Session: https://www.youtube.com/watch?v=efrCZZ5B1Pc

13 Al Jabri, Saif Rashid ,The Role of Cultural and Educational Bodies, Institutions, and Organizations in Preserving Heritage and Affirming Artistic Identity, Heritage and Design Magazine - Volume 1 - Issue 1, February 2021.https://jsos.journals.ekb.eg/article_142681_a41b1688ebfc899fa38c6d8363ed85d3.pdf

14 Jackson, British Views of Iraq 1797, translated by Khaled Farouk Omar, Arab Encyclopedia House (Beirut: 2000).

15 Khalil, Imad al-Din ,On the Reshaping of the Muslim Mind, The Book of the Nation Series, (Qatar: 1403 AH)
16 _____, The Islamic Interpretation of History, Dar al-Ilm Lil-Malayin (Beirut: 1981)
17 _____, Steps in the Heritage of Mosul, Dar Ibn Kathir (Damascus-Beirut: 2018).
18 Niebuhr,Carsten ,Niebuhr's Complete Journey to Iraq, translated by Suad Hadi Al-Omari, Mustafa Jawad, and Mahmoud Hussein Al-Amin (Dar Al-Warraq, (Baghdad-Beirut: 2012).
19 Al-Nuwaisri , Hoda Rajab, (2022). Engineering and Artificial Reasoning for Resource Placement in Ancient Structures. Journal of Humanities and Natural Sciences, 3(2), 19-28.
20 Qasha, Suhail ,Mosul in the Galilean Era, Al-Tanweer Printing and Publishing House (Tripoli: 2008)Saeed, Mahmoud Salih ,Mosul Landmarks, Kashkul Printing House (Mosul: 2024)
21 Raouf, Imad Abdul Salam ,Mosul in the Ottoman Era: The Period of Local Rule, Al-Adab Press (Najaf: 1975),
22 Shukran, Hassan, The Rights of Future Generations with Reference to Arab Conditions, Arab Center for Research and Policy Studies (Doha: 2018).
23 Al-Tuwaijri, Abdul Aziz Othman, Heritage and Identity (ISESCO: 2011).
24 Al-Waraqi, Iman ,Imminent Danger: Climate Change Is Destroying Our Cultural Heritage and Threatening Our Human Identity, Bridges of Posen website, available at the link, dated September 1, 2024, available at the link: https://jusoorpost.com/ar/posts/44123/